أثر حركة الفن المقدس (1937-1954) على الفن الكنسي الكاثوليكي الحديث (دراسة تحليلية)

مقال بحثى
كامل

* إيمان عبد الحكيم طه قنديل
* الدارسة بمرحلة الدكتوراة، قسم التصوير شعبة التصوير الجداري،ك.الفنون الجميلة، ج حلوان.
البريد الإليكتروني: emakandil@gmail.com

تاريخ المقال:
- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 24 يونيو 2023**
- **تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 02 يوليو 2023**
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 28 يوليو 2023**

الملخص:

*منذ أوائل القرن العشرين ومع تغير الظروف الإجتماعية والسياسية وظروف الحرب العالمية الأولى والثانية أصبح هناك حاجة للتغيير في الكنائس لتواجه التغييرات الواسعة التي تشهدها أوروبا، وكانت من أهم الموضوعات المطروحة هي موضوع الفن المقدس الذي فقد الكثير من روحانيته التي عرفتها الكنائس الكاثوليكية لعقود كثيرة من الزمان، ولذلك قام كل من الأب "ماري آلان كوتورييه" والأب "باي ريمون ريجامي" في نشر مجلة "الفن المقدس" **L'Art Sacré** التي قادت حركة الفن المقدس بين عامي 1937 و1954، وهدف هذه الحركة كان إعادة الفن الكاثوليكي لروحانتيه مع أن يكون فن معاصر متصل بروح العصر، وقامت الحركة بتنفيذ خمس مشاريع في فرنسا وأهم مشروعين هما مشروع كنيسة السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة في "أسي" والكنيسة الوردية في " فينس" ورغم الانتقادات الواسعة للحركة إلا أنها لعبت دور مهم في فتح النقاش حول ماهية الفن الكنسي الكاثوليكي الحديث، ولقد كللت جهود الحركة لاحقا من خلال المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان الذي أقر بحرية الفنان في التعبير بالأسلوب الفني الذي يراه مناسبا دون الإخلال بالتقاليد الدينية المتبعة.*

الكلمات المفتاحية: الفن المسيحي الحديث- الفن الكاثوليكي الحديث - حركة الفن المقدس - كنيسة آسي - الكنيسة الوردية – كنيسة فينس – هنري ماتيس.

مقدمة

دائما ما ساعد الفن والعمارة المقدسة على تشكيل الهوية الكاثوليكية وكان لهما دورا مهما في تطوير الخيال لدى المؤمنين، واستخدم الفن المقدس كأداة لتثقيف المجتمع وكعامل مساعد في العبادة والروحانيات والصلاة؛ كما ساعد الفن والعمارة المقدسة في إنشاء بيئة يصل إليها المصلين مبكرًا للعبادة، والبقاء لفترة من الوقت للتأمل بعد انتهاء الليتورجيا، ومنذ أوائل القرن العشرين وكانت هناك محاولات لإعادة إحياء الفن المقدس في فرنسا كرد فعل على ما وصل إليه الفن الكنسي من بعد عصر النهضة حيث تشبثت كنائس فرنسا بالفن الأكاديمي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ومع بداية القرن التاسع عشر تحولت الأعمال الفنية في الكنيسة إلى مواهب متواضعة للتجار والنجارين الذين قدموا فن مقلد متوسط ومرتبك يفتقر إلى العمق مما أدى إلى انتشار وإنتاج اللوحات الدينية الرخيصة والمبهرجة، ومن بعد الحرب العالمية الثانية نشأت حركة الفن المقدس بقيادة الأب" كوتوريه" والأب "ريجامي" وكان هدف الحركة هو محاولة استعادة الفن المقدس للجمالية والتعبير الروحي مرة أخرى، وانتاج أعمال معاصرة تحمل روح العصر مع مراعاة التقاليد الفنية والدينية في الفن الكنسي الكاثوليكي، وتأثر الفن الكنسي الكاثوليكي الحديث بشكل كبير بهذه الحركة، حيث تم تطبيق مفاهيم حركة الفن المقدس على العديد من المشاريع الفنية في الكنائس والمباني الدينية، وتمكن الفنانون من خلق أعمال فنية تعكس العمق الروحي والجمال الفني في الوقت ذاته.

مشكلة البحث

دائما ما تأثر الفن سواء كان دينيا أو علمانيا بالظروف السياسية والإجتماعية، ومن بعد الحرب العالمية الأولى والثانية شهدت أوروبا تغييرات كثيرة أثرت على الأفكار والمشاعر وكان على الكنيسة إمتصاص كل هذه التغيرات على جميع الأصعدة ومنها الفن الديني الذي كان ولابد أن يساير العصر الحديث والمشاعر المختلطة، لذلك يمكنا أن نلخص مشكلة البحث في السؤال الآتي:

- كيف أثرت حركة الفن المقدس في خلق نقاش فكري وإثارة قضية أساسية وهي مناقشة الفن الديني من وجهة نظر جمالية معاصرة؟

أهداف البحث

- الكشف عن الدور الذي لعبته حركة الفن المقدس في الفن الكنسي الكاثوليكي الحديث.
- دارسة لأهم الأعمال المنجزة لحركة الفن المقدس في كنيستي السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة في "أسي" والكنيسة الوردية في " فينس".
- الكشف عن قرارات المجلس المسكوني الفاتيكاني الثاني بخصوص الفن المقدس بعد أن أثارت الحركة نقاش فكري واسع في الكنيسة الكاثوليكية حول ماهية الفن المقدس.

فروض البحث

يفترض البحث أنه دائما مايوجد محاولات للتجديد في الفن الديني في الكنائس الكاثوليكية أثمرت عن فنون عظيمة على مر العصور، وهذه الفنون لم تثرى الفن الديني فقط ولكن دائما ما أثرت الفن بشكل عام، وهذه المحاولات للتجديد دائما ما اشترك فيها رجال الدين والفنانين للنهوض بالفن الكنسي الكاثوليكي.

أهمية البحث

- إلقاء الضوء على دور حركة الفن المقدس في إثراء الفن الديني الحديث.
- الكشف عن الأعمال الفنية الحديثة والملهمة في كنيستي السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة في "أسي" والكنيسة الوردية في " فينس".

حدود البحث

الحدود الزمنية: الأعمال الفنية الدينية في الكنائس الكاثوليكية منذ أوائل القرن العشرين وحتى منتصف القرن العشرين.

الحدود المكانية: فرنسا (الكنائس الكاثوليكية).

منهج البحث

دراسة تحليلية توضح الدور الذي لعبته حركة الفن المقدس في تغيير مناخ الفن الديني في الكنائس الكاثوليكية في فرنسا من بعد الحرب العالمية الثانية.

مصطلحات البحث

الفن المقدس:

المقصود به الفن الديني، ويكون هدفه تمثيل المشاهد الدينية والطقوس العقائدية.

الليتورجيا:

كلمة يونانية تعني "الخدمة"، والمقصود بالليتورچيا (لفظًا) العمل الجماعي، فهي تعبر عن العبادات والصلوات الجماعية وقد يقصد بها القداس الإلهي تحديدًا.

محاولات إحياء الفن المقدس بعد الحرب العالمية الأولى

القضية الأساسية التي تسببت في هذه الحاجة لإحياء الفن المقدس هي قضية معقدة ومستمرة تتضمن العلاقة الدقيقة بين الفن والدين فمنذ نهاية الحرب العالمية الأولى (1914-1918)

وأصبح القادة الدينيون على دراية تامة بمأزق الكنيسة في العصر الحديث حيث تضاءل تأثيرها مصحوبًا بركود بصري (Brown, 2008, p.6)، وذلك على عكس ما حدث في العصور الوسطى عندما نجحت الكنيسة في استخدام الأعمال الفنية الدينية في تعزيز دورها وريادتها، ففي فرنسا نرى الكنيسة وقد تراجع فيها الفن المقدس وانتشرت الأعمال الرخيصة التي لا تظهر أي جماليات أو روحانية مثل الأعمال الرائدة لعصر النهضة (Brown, 2008, p.1)، ولذلك ظهرت محاولات منذ القرن التاسع عشر لأحياء الفن المقدس على سبيل المثال اللوحات الجدارية التي رسمها "أوجين ديلاكروا" Eugène Delacroix (1798-1863) في كنيسة الملائكة المقدسة، كما بدأ الفنان "موريس دينيس" Maurice Denis (1870-1943) أيضا تقديم فن ديني كاثوليكي حديث مواكب للعصر، حيث أسس مجموعة "ورش عمل الفن المقدس" Ateliers d'Art Sacré (1919-1947) مع الفنان "جورج ديسفاليير" George Desvallières (1861-1950) وهي مجموعة مكرسة لتجديد الكنائس والكاتدرائيات وتصميم اللوحات الجدارية بشكل معاصر، وتدريب الجيل القادم من الفنانين على انتاج فن ديني معاصر، وكان لموريس دينيس أسلوبا فريدًا بين رسامي جيله في الجمع بين الالتزام بالابتكار الفني والإيمان الديني التقليدي، وخلال الجزء الأخير من حياته أعاد تعريف إمكانيات أسلوب الفن الديني بشكل أساسي(The Art Story Foundation, n.d.) مما كان له تأثير كبير على الرسم الكنسي المسيحي ومن هنا بدأت مناقشة القضية الأساسية للفن الديني من وجهة نظر جمالية، وانضمت العديد من الصحف والمطبوعات التي تتخذ من باريس مقراً لها إلى الطليعية الناشئة في مناقشة القضية، وكانت هناك حركة ليتورجية راسخة بقوة في الوسط الرهباني وظهرت العديد من الطرق التي ترجمت بها هذه المؤسسات الدينية رغبتها في تجديد الليتورجيا في الأمثلة والأفكار الصريحة للعمارة والفن الكنسي.

حركة الفن المقدس بقيادة الأب" كوتورييه" والأب "ريجامي" بعد الحرب العالمية الثانية

بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت 1945 تم تدمير عدد كبير من الكنائس في أوروبا الغربية خاصة فرنسا، وعندما انتهت الحرب قُتل ما يقدر بنحو 40 مليون مدني و20 مليون جندي (The United Nations, n.d.)مما جعل الحرب العالمية الثانية الحرب الأكثر دموية في التاريخ، ونتج عنها تدمير جزء كبير من أوروبا الغربية جسديًا ونفسيًا، وكان عدد القتلى في فرنسا أقل بقليل من ستمائة ألف شخص، وغادرت الحرب العالمية الثانية فرنسا في وقت من عدم اليقين وأدت الروح الوطنية والرومانسية في زمن الحرب إلى إعادة ترتيب لجميع القيم في المجتمع الفرنسي مما ترتب عنه تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية، فرفض بعض الناس عقيدتهم ودينهم بعد الحرب لأن هذا الدمار والوحشية البشرية والأحداث التي لا توصف كانت غير مفهومة وغير مبررة، ومع ذلك فإن غالبية الناس في النصف الثاني من القرن العشرين تشبثوا بمعتقداتهم الدينية كطريقة للتغلب على خسارة الحرب ومآسيها وتحول الكثير من الناس إلى المسيحية في أعقاب الحرب لأن المسيحية تقوم في المقام الأول على المحبة والتسامح وحياة آخرة أفضل، وفي كتاب" إلمر تاونز" Elmer Towns و"دوغلاس بورتر" Porter Douglas "أعظم عشر إحياءات على الإطلاق" The ten greatest revivals ever احتل إحياء المسيحية بعد الحرب العالمية الثانية المرتبة السادسة في قائمة أعظم الإحياءات المسيحية عبر تاريخ العالم (Towns & Porter, 2000, p.16)، وإحياء المسيحية بعد الحرب العالمية الثانية ليس فريدًا نظرًا لأن معظم الإحياءات ترتبط ببداية أو نهاية صراع عسكري، وتعد الأثار النفسية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية مع زيادة الأعداد التي دخلت للمسيحية من الأسباب التي دعت إلي ضرورة إحياء فن مقدس يتناسب مع الأوقات والمشاعر المختلفة التي يعيشها العالم، ففي العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ظهر تحول في التفكير بشأن الكنائس قد يسميه البعض ثورة فكان العالم مكانًا متغيرًا وكان على الكنيسة أن تقرر ما إذا كانت قادرة على مواكبة التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعالم الجديد أو أن تظل تقليدية وربما يتم التعامل معها باعتبارها راكدة وقديمة الطراز وتذكير بالأوقات السيئة، وكانت إحدى المشكلات الرئيسية التي واجهت الكنيسة لمواجهة العصر الجديد هي تواجد الفن الحديث في بيئة الكنيسة الكاثوليكية التقليدية.

وبدأت شرارة التغيير من مجموعة صغيرة من الدومينيكان الفرنسيون أرادوا استخدام الفن لتغذية نهضة الكنيسة الكاثوليكية من خلال حركة الفن المقدس، حيث قام كلا من الأب "ماري آلان كوتورييه" Marie-Alain Couturier (1897-1954) مع الأب "باي ريمون ريجامي" Pie-Raymond Régamey (1900-1996) في نشر مجلة "الفن المقدس" L'Art Sacré التي قادت حركة الفن المقدس بين عامي 1937 و1954 بهدف بداية نهضة في الفن الكاثوليكي في الوقت الذي تخلت فيه الكنيسة

الكاثوليكية عن دورها الحيوي السـابق كراعي فني عظيم خلال القرن الماضـي وذلك وسـط علمنة الدولة وظهور سـوق فني مسـتقل نتج عنه فجوة بين الفن المعاصـر والحركات الفنية الدينية فرأى كل من "كوتوريه" و"ريجامي" فرصـة من خلال حركة الفن المقدس لإنهاء هذه الفجوة من خلال دعوة الفنانين المعاصـرين المشـهورين بغض النظر عن معتقداتهم الدينية أو السـياسـية لتصـميم أو تزيين كنائس كاثوليكية جديدة (Read, 2018, p.1)، والأب" كوتوريه" هو فنان فرنسـي كان من الفنانين الذين تدربوا في "ورش عمل الفن المقدس" مع الفنان "موريس دينيس" وكان مؤمن بضـرورة التغيير والتطوير وملائمة العصـر، وتخلى " كوتوريـه "عن مسـاعيـه الفنيـة ليركز على دوره كمسؤول في الكنيسة وكونه حافزًا للتجديد الشامل للكنيسة، ومجلة L'Art Sacré كانت مجلة مخصـصـة لرجال الدين وتناولت القضـايا المتعلقة بالفن في الكنيسـة، ويقول" كوتوريه " أن مهمة هذه المجلة مزدوجة وهي العمل على إصـلاح الأفكار واستعادة حساسية العين(Brown, 2008, p.7).

مشروع كنيسة السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة في "آسي"

كانت البداية مع أول مشـروع للحركة عام 1939عندما دمرت العديد من الكنائس في الحرب العالمية الثانية وكان لابد من إعادة إعمارها وبنائها، وأوكل لكوتوريه كنيسـة "السـيدة العذراء الممتلئة بالنعمة" في "آسـي" Notre-Dame de Toute-Grâce وهي كنيسة صغيرة تقع في بلدة ريفية في جبال الألب الفرنسية "آسي" Plateau d'Assy ، ولكن تم تأجيل المشروع بعد سـفر "كوتوريه" إلى الولايات المتحدة الأمريكية واضـطراره للبقاء في الولايات المتحدة لظروف الحرب، وهناك تعرف على العديد من الفنانين المعاصـرين مثل "سـلفادور دالي" وغيره من الفنانين وأثرت تلك الفترة في رؤيته كثيرا، وتم البدء في العمل في "آسـي" مرة أخرى في عام 1945 فناشـد فنانين فرديين مثل "فيرنـانـد ليجير"Fernand Léger و"بيير بونـارد" Pierre Bonnard و"جـان رينيـه بـازين" Jean Rene Bazin و"جورج براك " Georges Braque و"مارك شـاجال" Marc Chagall و" جاك ليبتشـيتز" Jack Lipschitz و" جيرمين ريتشييه" Germaine Richier و" جورج رووه " Georges Rouault و"جان لوركات" Jean Lurçat، للقيام بمشـاريع فردية للكنيسـة مثل النوافذ الزجاجية الملونة والألواح المطلية والصـليب وموزاييك الواجهة الخارجية والنحت والنسـيج، وبذلك يكون" كوتوريه" فضـل الفنانين المميزين القادرين على تقديم أعمال معاصـرة برؤية فنية مختلفة على فنانين مؤمنين أقل كفاءة، ومن المفارقات أن "جورج رووه " كان الفنان الكاثوليكي الوحيد المشـارك في المشـروع وكان هذا محل انتقاد كبير فالسـؤال هنا هل الفنانين غير الكاثوليكيين وغير المؤمنين أو من الديانات غير المسيحية قادرين عل تقديم فن ديني؟

أما النتيجة فكانت هجوما كبيرا بدايةً من التمثال البرونزي الذي نحتته الفنانة الملحدة "جيرمين ريتشـييه" وهو تمثال يجمع بين المسيح وشكل الصليب (شكل 1) وتسبب هذا التمثال في أعمال شـغب فاضـطر أسـقف "آنسـي" Annecy لإزالة العمل في عام 1951 وأعيد العمل به مرة أخرى 1969، والتمثال عبارة عن تمثال برونزي صـليبي الشـكل لشـكل جاف، ممزق، وشـبه خالي من الملامح، وتم دمج وضـع الصـليب في صـورة المسـيح، وأذرعه الممدودة تصبح فعليًا العارضة الأفقية للصليب، وسخر النقاد من جمالية "جيرمين ريتشييه" التي لا هوادة فيها باعتبارها تدنيسًا فاضـحًا وتشـويهًا للفن المقدس، ولكن الكثير من المنفتحين رأو في الصـليب أنه يعبر عن القوة كما أنه مشـحونا بالعاطفة (Koestlé-Cate, 2019).

أما " كوتوريه" فقد دافع عنه بأنه مقتبس من "إشعياء 53" لكن صـليب "ريتشـييه" اعتُبر"غير كافٍ من الناحية الليتورجية" على الرغم من تمثيله الكامل للموت في الحياة والحياة في الموت، ورأى الأب "هنري دي مونتروند" أن الصـليب يخطئ "بسـبب الواقعية الزائدة فالفنانة عبرت بواقعية عن مشاعر شخصية أكثر من الفكر العميق للكنيسـة"(Brown, 2008, p.10)، ومع ذلك في خضم العداء كان هناك بعض المدافعين عن الصليب منهم الناقد الفني الفرنسـي" دينيس كوهلر" الـذي قـال" قطعـة مـدام "ريتشييه" هي حقيقة لاهوتية وكتابية ... إنها تدخل جلدنا مثل الحديد الأحمر الساخن"(Brown, 2008, p.11).

أما موزاييك واجهة الكنيسة للفنان "فيرناند ليجير" فقد أثارضجة بين العامة والكنيسة (شكل2) بسبب معتقدات الفنان الشيوعية، وموضوع الموزاييك هو صلاة تكريس للسيدة العذراء مريم في الواقع إنها الصلاة المريمية الوحيدة التي تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية وتمت الموافقة عليها من قبل البابا "سـيكسـتوس الخامس" في عام 1587، وفيها يطلب المتوسل شفاعة العذراء من خلال استحضار رموزها وألقابها وأدوارها(Read, 2018, p.157)، واختيار سـلسـلة العذراء كموضـوع كان مناسـب للكنيسـة لأنها كانت مخصصة للعذراء، واستوحى "فيرناند ليجير" من الفسيفساء البيزنطية بسـاطتها باسـتثناء السـطوع والبهجة والتنظيم المفتوح الذي ميز موزاييك الواجهة على عكس الفسـيفسـاء البيزنطي، فاختار أن تتداخل الكتل الهندسـية ذات الألوان غير

المنتظمة مع بعضها البعض كخلفية للجدارية التي تتوسطها العذراء، واستخدام الفنان للألوان الزاهية في الجدارية كان له تأثير بصري هائل، ومع ذلك تم انتقاد الألوان الزاهية من قبل المحافظين البارزين على أنها ألوان أقلام التلوين للأطفال(Brown, 2008, p.10).

وتم مهاجمة العديد من الأعمال أيضا كنوافذ الزجاج للفنان "جورج رووه"، حيث صمم "رووه" سلسة من خمسة نوافذ زجاجية اثنان منهم يعبران عن آلام المسيح، وصممت النوافذ بطريقة جريئة في الألوان والمساحات المجزأة، وفي نافذتي "الجلد" (شكل3) ونافذة "آلام المسيح" نرى المسيح حزين مرسوم بشكل مبسط وأجزاء جسده تتناغم مع تجزيئات خلفيات النوافذ المقسمة بطريقة جريئة، وحدد "رووه" المسيح بخطوط سوداء سميكة قاسية لخلق تباين صارخ بين المسيح والخلفية واللوحة، ويطغى على التصميم الظلمة مع القليل من الألوان الصريحة من الأحمر والأخضر والأزرق، وهذه الظلمة كانت السبب في اتهمام نوافذ "رووه" في "آسي" بالكآبة فيصف "ويليام روبين" وهو المدير السابق لقسم الرسم والنحت في متحف متروبوليتان للفنون نوافذ "رووه" في الكنيسة بأنها "غير شفافة وكئيبة في الغالب"، وأثار الأسلوب المجزأ والأشكال الجريئة الكثير من الجدل، كما رأى البعض أن النوافذه خالية من الجمال الفني، ولكن الحقيقة أن أعمال "رووه" ليست كئيبة ولكنها أعمال روحانية عميقة تقدم مواساة حقيقية للبؤساء وخطوط "رووه" السوداء المليئة بالألوان كانت وسيلة لدمج المقدس والروحي مع العلماني والمادي.

ونظرت المجموعات المحافظة داخل الكنيسة بازدراء إلى افتتاح كنيسة "آسي" كما تم وصف الكنيسة بأنها "بدعة داخلية"، ومن المفارقات أن البرنامج الطموح لكنيسة "آسي" قد باركه البابا "بيوس الثاني عشر" في عام 1946، وفي 10 يونيو1950 جاء هجوم الفاتيكان المباشر على كنيسة "آسي" وخصوصا واجهة الكنيسة وصليب "ريتشييه" في نص تمت ترجمته وإعادة إنتاجه في جميع أنحاء العالم بعنوان Dell'Arte sacra deformatrice "الفن المقدس المشوه" واستنكرت فيه الأعمال الفنية في كنيسة "آسي" وتم اعتبارها إهانة لعظمة الله (Brown, 2008, p.12)، كما رأى البعض أن الأعمال الفنية رغم جودتها على المستوى الفردي إلا إنها كمجموعة فنية تظهر تباينًا في الأساليب التي تم انتقادها باعتبارها معرضًا للمواهب أكثر ملاءمة للمتحف.

لم تكن كنيسة "آسي" ناجحة كما كان من الممكن أن تكون، وقد يكون السبب هو أنه كان هناك حاجة إلى تنظيم أكبر، ولكن قدمت خلافات "آسي" مجموعة من الأسئلة المهمة حول علاقة الكنيسة بالفن المعاصر والفنان،

(شكل1)
جيرمين ريتشييه صليب من البرونز لـ كنيسة " السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة " Notre-Dame de Toute-Grâce-45سم -1950آسي – فرنسا
الصورة من موقع
https://artway.eu/content.php?id=1960&lang=en&action=show

(شكل2)
فيرناند ليجيرموزاييك واجهة كنيسة " السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة"Notre-Dame de Toute-Grâce-آسي – فرنسا
الصورة من موقع
https://artway.eu/content.php?id=1960&lang=en&action=show

وساهمت هذه الأسئلة بشكل كبير في النمو، حيث قوبلت النقاشات حول الفن المقدس بتوجيه رسمي من 11 نقطة صدر في مايو 1952 من قبل لجنة أسقفية للمسائل الرعوية والليتورجية ووافق عليها الكرادلة ورؤساء الأساقفة في فرنسا، تجنبت الوثيقة ذكر أي أعمال محددة وقدمت أساسًا عامًا كافياً لتهدئة كلا الجانبين ("Assy, Notre-Dame-de-Toute-Grâce, n.d.) ، اعترف المقال بأن الفن المقدس مثل كل الفنون الأخرى هو فن حي ويجب أن يتوافق مع روح عصره في تقنياته وكذلك في استخدامه للمواد المتاحة، ويقول "كوتوربيه" عن كنيسة

"آسي" أنه تم استبعاد كل شيء أكاديمي في "آسي" من أجل ولادة جديدة حقيقية، إذا تم استدعاء أعظم الفنانين المستقلين وهـذا ليس من بـاب التكبر، ولكن لأنهم كـانوا الأكثر حيويـة ويمتلكون مواهب عظيمة.

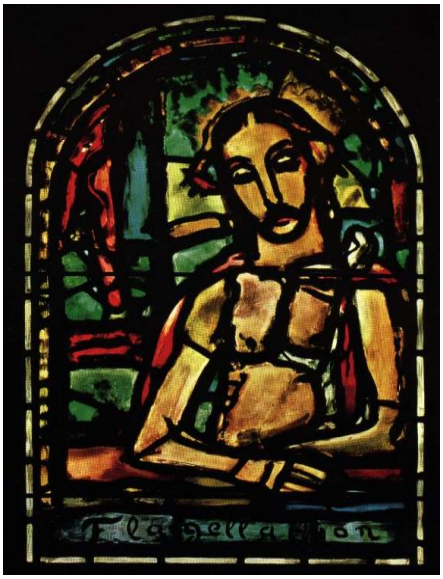

(شكل3)
الجلد -جورج رووهنافذة من الزجاج الملون كنيسة " السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة " Notre-Dame de Toute-Grâce-45سم -1950آسي – فرنسا
الصورة من موقع
https://artway.eu/content.php?id=1960&lang=en&action=show

مشروع الكنيسة الوردية في "فينس"

أما المشـروع الثاني لحركة الفن المقدس كان الكنيسـة الوردية La Chapelle du Rosaire في "فينس" Vence (1948 -1951) حيث سـيتم معـالجـة إخفـاقـات "آســي" من خلال تجريـد "هنري ماتيس"Henri Matisse (1869 -1954) والتي يعتبرها البعض أقوى الأمثلة لحركة الفن المقدس، وأفضـل عمل كلي للفن الحديث يتم تطبيقه في كنيسـة، وبدأ المشـروع الثاني عندما طلبت الأخت "ماري جاك" من "ماتيس" مشـورته المعمارية عام 1946 بخصـوص الكنيسـة الصـغيرة الخاصـة بهم في "فينس"، و الأخت "ماري جاك" هي ممرضـة كانت تعمل عند "ماتيس" قبل أن تتحول إلى الرهبنة، بعد ذلك بوقت قصير تم تقديم الأخ " لويس برتراند ريسـيجوير" Louis-Bertrand Rayssiguier وهو دومينيكاني مشارك في حركة الفن المقدس من قبل الراهبات إلى "ماتيس" الذي أطلقوا عليه اسم مستشارهم المعماري، رأى "ريسيجوير" في ذلك فرصـة لإشـراك "ماتيس" في تزيين الكنيسـة الصـغيرة وحدث أول اتصال لـ "كوتوريه" مع "ماتيس" في ربيع عام 1948 عندما كان "ماتيس" مسـتشـارًا في النظام الدومينيكي لمراحل التخطيط المبكرة في "فينس"، وفي رسـالة إلى "كوتورييه " يصـف "ماتيس" عمله في الكنيسـة بأنه "اضـطراب كبير"، ولأن "ماتيس" لم يكن رجلاً متديناً للغاية على الرغم من انغماسه في المشروع أثارت مشاركته السخرية من رجال الدين.

صمم "ماتيس" نصبًا تذكاريًا بمعنى الكلمة فأشرف على العمارة والديكور (الهندسـة المعمارية والزجاج الملون والسـيراميك والأشـياء الليتورجية والأثواب والملابس الكهنوتية ...)، ونظم كل تفاصـيل الزخارف والمفروشـات، وأشـرف على تحديد الضـوء الداخلي، فلم يترك شـيء إلا وأشـرف عليه، كان أحد أهداف "ماتيس" للكنيسـة هو إنشـاء "مسـاحة لا نهائية" والتي تم تحقيقها في تصـميم عمارة الكنيسـة من خلال الجدران البيضـاء الصـارخة وأرضـيات الرخام البيضـاء التي تغمرها أشـعة الشـمس المنعكسة، وخلق إحساسًا عن طريق الضوء الملون المنبعث من النوافذ الزجاجية الملونة ذات درجات الألوان الشـديدة الصـريحة والمنعكسـة على اللون الأبيض النقي للجدران، فكان اللون هو الطريق إلى الروحـانيـة في "فينس"، واسـتخـدم أنقى درجـات الألوان لثلاثة ألوان فقط في النوافذ وهي الأصـفر للشـمس والأخضر للنباتات والأزرق للبحر الأبيض المتوسط (شكل 4) ، وتم عمل اللوحات الجدارية الخزفية بأسـلوب خطي خالص باللونين الأسـود والأبيض، وتختلف اللوحات الخزفية الثلاثة التي نفذها "ماتيس" في الكنيسـة للقديس دومينيك والعذراء والطفل ومحطات صـلب المسـيح اختلافًا جذريًا في الأسـلوب عن البرنامج في "آسـي"، ولوحة محطات صـلب المسـيح قدمت نقطة انطلاق ومثالًا جيدًا لمسـيح عاطفي قوي وتم دمج محطات الصـلب في لوحة واحدة تشمل جميع المحطات الأربعة عشر التقليدية والتي نادرًا ما يتم عرضـها كلها في تركيبة واحدة، ولكن بدلاً من ذلك بشـكل فردي، يتم تمييز كل محطة من خلال الترقيم، وتم حذف ملامح الوجه في جميع أنحاء الكنيسة باستثناء وجه المسيح في المحطة السـادسـة حيث أصـر "ماتيس" على أن وجوه جميع الشخصيات الأخرى يمكن تخيلها من قبل المصلين، لكن يجب أن يكون المسيح ظاهر هنا.

أما جدارية العذراء والطفل على الجدار الشـمالي للصـحن (شـكل 5) هي صـورة أمـامية للعـذراء وهي تحمل ابنهـا وهو يقف وذراعـاه ممـدودتـان، ونفـذ العـذراء والطفـل بـالتجريـد الخطي الخالص والوجوه بيضاوية بدون ملامح، في رسالة من "ماتيس" إلى الأب "كوتورييه " يصـف ماتيس عملية تفكيره الإبداعي عن عذرائه وطفله بالإضـافة إلى مخاوفه بشـأن كسـر التقاليد

"بالأمس حدث هذا: لقد غيرت الطفل المسيح غيرته من طفل إلى صبي أنا أخرج عن التقاليد، من وجهة نظر التقليد هل أخطأت؟ ومع ذلك، فإن العمل يتشكل من داخلي وستعكس النسخة الخزفية فهمي الفكري"(Brown, 2008, p.15)، وعلى الرغم من أنه لم يكن رجلاً متديناً، إلا أن "ماتيس" يدرك أهمية الدين والتقاليد الدينية ليس فقط للدومينيكيين الذين يعمل معهم، ولكن أيضًا للمسيحية بأكملها، فكان حريصًا على الالتزام بالأيقونات الدينية التقليدية، حتى لو لم تكن تقليدية من الناحية الأسلوبية، وعندما أتم "ماتيس" الكنيسة كانت هذه أول قطعة يشير إليها الرسام باسم "تحفته" على الرغم من مكانتها ضمن مجموعة أعمال "ماتيس" الواسعة (Burgess,2014, p.iv)، وقال "كوتوريه " أن "ماتيس" قد نجح في خلق مساحة روحية، ومن الممكن القول أن كنيسة "فينس" كانت أكثر نجاحًا لأن "ماتيس" ضحى بمعتقداته الشخصية وكان منفتحًا على تكييف أسلوبه ليناسب المواضيع الدينية وفي نفس الوقت أعطى "كوتوريه" وأساقفة الدومينيكان "ماتيس" الحرية الكافية للتعبيرعن نفسه (Brown, 2008, p.15)، ولكن لم تسلم الكنيسة من نقد الكاثوليك المحافظين رغم أنها كانت خطوة عملاقة إلى الأمام لرغبة الدومينيكان في الزواج بين الحديث والمقدس.

(شكل4)

هنري ماتيسإحدى نوافذ الزجاج التي نفذها ماتيس في الكنيسة الوردية La Chapelle du Rosaire Grâceفينس – فرنسا

الصورة من موقع الكنيسة الوردية

http://chapellematisse.fr/index.php

© Succession H. Matisse pour les oeuvres de l'artiste Chapelle du Rosaire © Photographe David Huguenin 2016

(شكل5)

صحن الكنيسة الوردية La Chapelle du Rosaire Grâce وتظهر جدراتي العذراء والطفل وجدارية القديس دومينيك لهنري ماتيس فينس – فرنسا

الصورة من موقع الكنيسة الوردية http://chapellematisse.fr/index.php

© Succession H. Matisse pour les oeuvres de l'artiste Chapelle du Rosaire © Photographe David Huguenin 2016

بحلول عام 1954 أسفرت حركة الفن المقدس عن خمسة مشاريع رئيسية وهي كنيسة "السيدة العذراء الممتلئة بالنعمة" في آسي (1937-1950)، والكنيسة الوردية لهنري ماتيس (1947-1951)، ونوافذ "فرناند ليجر" و"جان بازان" لكنيسة "القلب المقدس" l'Eglise du Sacré-Cœur (1949-1951)، و كنيسة "سيدة القمة" في "رونشامب" Chapelle Notre-Dame-du-Haut 1955 ، بالإضافة إلى" لا توريت" La Tourette دير في "إيفو" (1953-1961) (Read, 2018, p.1)، تم تنفيذ كل هذه المشاريع على أساس الإعتقاد بأن الموهبة وليس الإيمان هما القادران على انتاج خلود وعالمية الموضوعات الكاثوليكية للجمهور الحديث، ولكن على الرغم من أن حركة الفن المقدس تضم بعضًا من أكثر الشخصيات شهرة في الفن والعمارة الفرنسية الحديثة، إلا أن الدوافع وراء مشاركتهم يراها البعض لا تزال غير مفهومة، وتم احتقار "كوتوريه" وحركة الفن المقدس من جانب الكاثوليك المحافظين، إلا أنه لا يزال يكتسب شهرة دولية واكتسبت أعماله للفن المقدس الحديث التقدير، وفي عام 1954 تم طرد "كوتوريه " كنسيا وتوفى في نفس العام، وردًا على رد فعل الفاتيكان الحاد كتبت صحيفة "آرتس" الفرنسية: "الفضائح التي صاحبت الأيام الأولى للفن الحديث لم تكن شيئًا مقارنةً بهذا"(Read, 2018, p.3)، وفي عام 1955 أدانت روما حركة الفن المقدس من خلال إدانتها على وجه التحديد مشاركة الفنانين غير الكاثوليك في الأعمال الفنية الكنيسة وذكر"بيوس الثاني عشر" في الرسالة البابوية Musicae Sacrae "التأديب" أن غير الكاثوليك لا يمتلكون تلك العين الداخلية التي تسمح لهم

باكتشـــاف ما تتطلبه عظمة الله والعبادة الإلهية، وفي نفس الرسـالة العامة أعطى البابا قرار روما النهائي بشـأن حركة الفن المقدس(Brown, 2008, pp.16-17).

ويقول ويليام روبن في دراسته التاريخية "الفن المقدس الحديث وكنيسـة آسـي" (1961)، أن كنيسـة "السـيدة العذراء الممتلئة بالنعمة" في آسي هي اعتذار" كوتوريه" لرفض الفاتيكان إدانة الفـاشـــية، فكوتوريـه كـان واحـدًا من العـديـد من الليبراليين الدومينيكان الذين انخرطوا في المقاومة الفرنســية وتعاطفوا مع الشـــيوعيين(Brown, 2008, p.1)، ومن خلال التكليف بـالفن الديني من قبل أســـاتذة حديثين في كنيســـة "آســـي" لفت "كوتوريه" الانتباه إلى محاولتهم رسـم مسـار جديد للإيمان من خلال زيادة العمل الاجتماعي والإصـــلاحات الليتورجية، وأصـــبح "كوتوريه" البطل في قصة تصف ببساطة حركة الفن المقدس بأنها حركة مناهضـــة للفاتيكان، وبذلك يفترض روبن أن ثنائية الفن الحـديـث والأكـاديمي بـإمكـانهـا الفصـــل بين الكـاثوليـك الفرنســـيين الليبراليين والمحـافظين(Brown, 2008, p.4)، وظـل تحليل روبن هو العلاج الأكثر تحديدًا لحركة الفن المقدس حتى وقت قريب لأنه سـلط الضـوء بشـكل مثمر على خطوط الصـدع السياسية الطويلة الأمد التي أدت إلى إصلاحات شاملة للمجلس المسكوني الفاتيكاني الثاني.

المجلس المسكوني الفاتيكاني الثاني

المجمع الفاتيكاني الثاني المعروف أيضًا باسم الفاتيكان الثاني (1962-1965) هو المجمع المسكوني الحادي والعشرون للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، أعلن عنه البابا "يوحنا الثالث والعشـــرون" في 25 يناير 1959 كوسـيلة للتجديد الروحي للكنيسـة وكمناسـبة لجمع المسـيحيين الذين انفصـلوا عن روما للانضـمام إلى البحث عن الوحدة المسـيحية، أعدت اللجان التحضـيرية التي عينها البابا جدول أعمال وأنتجت مســودات (مخططات) من المراســيم حول مواضـيع مختلفة، وعند افتتاح المجمع في 11 أكتوبر 1962، نصـح البابا آباء المجمع بمحاولة تلبية الاحتياجات الرعوية للكنيســة، اســتمر عمـل المجلس في عهـد خليفـة البـابـا "يوحنـا الثـالـث والعشـرون" البابا "بولس السـادس" وعقدت الجلسـات كل خريف حتى اكتمال عمل المجلس في 8 ديسـمبر 1965، تم سـن سـتة عشـــر وثيقـة من قبـل آبـاء المجمع عبرت فيهـا الكنيســـة الكاثوليكية عن نفسها في موضوع الفن المقدس خلال المجمع الفـاتيكـاني الثـاني في "دســتور الليتورجيـا المقـدّســـة" Sacrosanctum Concilium الصـادر في 4 ديسـمبر 1963؛ الفصـل السـابع بعنوان Sacred art and sacred furnishing "الفن المقدس والمفروشات المقدسة"(Mantovani, 2014, p.127).

وفي الفصـــل الســـابع بعنوان "الفن المقدس والمفروشـــات المقدســـة" نرى في الوثيقة التي ترجمت لأغلب اللغات ومنها العربية على موقع الفاتيكان أهم الانتصـارات للفن المعاصـر في الكنيســـة في البند الخاص بالنمط الفني الذي يقول" لم تخصّ الكنيســـة نفســـها أبداً بأي أســـلوب فنّي، فقد قبلت الأنواع الشـائعة في كلّ عصـر، حسـب أطباع الشـعوب وظروفها، وطبقاً لمقتضـيات الطقوس المختلفة، وبذلك خلقت الكنيســة على مرّ الأجيال كنزاً فنياً يجب حفظه بكلّ عناية وحرص، ويجب أن ينال فن عصـرنا وفن جميع الشـعوب والمناطق حرّية الممارسـة في الكنيسـة، بشـرط أن يخدم الأبنية والطقوس المقدّسـة، بما يجب لها من الكرامة والاحترام، وذلك حتّى يستطيع هو أيضاً أن يضمّ صـوته إلى نشـيد المجد الرائع الذي أنشـده عظماء الرجال عبر القرون الماضية تكريماً للإيمان الكاثوليكي"(Vatican II, 1963).

ومن بين رســـائل المجمع الفاتيكاني الثاني (8 ديســـمبر 1965) التي وجهت للفنانين ما يلي: "نتوجه إليكم الآن أيها الفنانون المهتمون بـالجمـال ويعملون من أجلـه الشـــعراء والأدبـاء والرسـامون والنحاتون والمهندسـين المعماريين والموسـيقيين والرجال المكرسـين للمسـرح والسـينما، لكم جميعًا ، تعلن لكم كنيسـة المجلس بصـوتنا إذا كنتم أصـدقاء للفن الأصـيل، فأنتم أصدقاؤنا، لقد انضمت الكنيسة إليكم منذ زمن بعيد، فلقد بنيتم وزينتم معابدها واحتفلتم بمعتقداتها، ولقد سـاعدتم الكنيسـة في نقل رســـالتها الإلهية بلغة الأشـــكال لجعل العالم غير المرئي ملموسًـا، واليوم كما في الأمس الكنيسـة بحاجة إليكم وتتوجه إليكم وتقول لكم من خلال صـوتنا لا تسـمحوا بتحطيم تحالف مثمر مثل هذا، لا ترفضـــوا وضـــع مواهبكم في خدمة الحقيقة الإلهية، لا تغلقوا ذهنكم على نســـمة الروح القدس، هـذا العـالم الـذي نعيش فيـه يحتـاج إلى الجمـال حتى لا يغرق في اليأس مثل الحق الذي يجلب الفرح إلى قلب الإنســـان وهو تلـك الفـاكهـة الثمينـة التي تقـاوم الزمن، والتي توحـد الأجيـال وتجعلهم يشـــاركون الأشـــيـاء في الإعجـاب وكـل هـذا على يدكم"(Paul VI,1965)، في تلك المناسبة تعهد بولس السادس بـ "إعادة تأسيس الصداقة بين الكنيسة وأتباع الفن" ودعا الفنانين للقيام بالتزام مشـابه ومشـترك، وتحليل العوامل التي أدت إلى اضـــطراب هذه العلاقة بجدية وموضـــوعية، وحث الكنيســـة والفنانين على القيام برحلة أحدث وأعمق في التعارف المتبادل

والحوار من أجل الوصول إلى "نهضة فنية" أصيلة في الكنيسة الكاثوليكية، ويجب التنويه أن البابا بولس الســـادس Paul VI (1897-1978) لعب دورا مهما في العلاقة بين الكنيســـة والفن كما أنه اهتم بشــكل خاص بالفن المعاصــر وكان يعتبره البعض "بابا الفنانين" بسـبب سـمعته الثقافية وقربه وحسـاسـيته تجاه الفنون وتأكيده الدائم في تقدير الكنيســة للفنون(Mantovani, 2014, p.130).

النتائج والتوصيات:

أولا النتائج :

- بعد دراسـة حركة الفن المقدس في فرنسـا في النصـف الأول من القرن العشـــرين نرى أن الحركة قدمت مجموعة من الأعمال التي غيرت في شكل الفن الكنسي المعاصر.
- استطاعت الحركة تسليط الضوء على أهمية الإهتمام بجمالية الفن الكنســـي بجانب الإهتمام بقيمته الدينية وأهمية مواكبته لروح العصر فنيا وفكريا.
- اسـتطاعت الحركة تسـليط الضـوء على قدرة مشـاركة الفنانين من ديانات وعقائد مختلفة في تزيين الكنائس.

ثانيا التوصيات:

- توجيه الباحثين لإجراء دراســات مســتفيضــة حول الأســباب الفكرية والدينية والسياسية التي قامت حركة الفن المقدس من أجلها.
- تسـليط الضـوء ودارسـة الأعمال الفنية التي قامت بها حركة الفن المقدس.
- التركيز على أهمية رؤية الفنان في الأعمال الدينية بجانب المحافظة على القيم الدينية لخلق عمل فني ديني متكامل برؤية حديثة بعيدا عن الأعمال المقلدة والمستنسخة.

المراجع:

1. Brown, A. (2008). The Symbiotic Relationship of Religion and Art. Agora: Vol. 17, Article 12. University of Lynchburg, Virginia.
2. Towns, E., & Porter, D. (2000). The Ten Greatest Revivals Ever. Servant Publications, Michigan.
3. Read, H. R. (2018). Canonizing Modernism: An Avant-Garde Legacy in France's Sacred Art Movement, 1937–1958. Arts & Sciences Electronic Theses and Dissertations, 1569. Retrieved from https://openscholarship.wustl.edu/art_sci_etds/1569.
4. Burgess, L. (2014). Embodiment and decoration: Matisse's Rosary Chapel in Vence, France. Undergraduate Thesis, University of Pittsburgh. (Unpublished)
5. Mantovani, M. (2014). Church and art: from the second Vatican Council to today. Conservation Science in Cultural Heritage, 14(1), 127-143. doi: 10.6092/issn.1973-9494/4744.

المواقع الإلكترونية:

6. The Art Story Foundation. (n.d.). Maurice Denis. Retrieved from https://www.theartstory.org/artist/denis-maurice/
7. United Nations. (n.d.). Second World War Remembrance Days. Retrieved July 9, 2023, from https://www.un.org/ar/observances/second-world-war-remembrance-days
8. Koestlé-Cate, J. (2019). 'A Man of Sorrows'. In B. Quash (Ed.), The Visual Commentary of Scripture. London: The Visual Commentary on Scripture Foundation. Retrieved from https://thevcs.org/stricken-smitten-bruised-and-afflicted/man-sorrows
9. "Assy, Notre-Dame-de-Toute-Grâce." Encyclopedia.com. Retrieved from https://www.encyclopedia.com/religion/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/assy-notre-dame-de-toutegrace
10. Vatican II. (1963). Sacrosanctum Concilium: Constitution on the Sacred Liturgy. Retrieved from https://www.vatican.va/archive/hist_councils/ii_vatican_council/documents/vatii_const_19631204_sacrosanctum-concilium_ar.html
11. Paul VI. (1965). Epilogue of the Second Vatican Council to artists. Retrieved from https://www.vatican.va/content/paul-vi/en/speeches/1965/documents/hf_p-vi_spe_19651208_epilogo-concilio-artisti.html